مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
مجلد 148- عدد 3 (2024): 57-86

Damascusuniversity Journal of Historical Studies
Vol 148-No.3 (2024): 57-86

التشييدات الدفاعية لمواقع العصر الحجري الحديث

العراق وبلاد الشام أنموذجاً

رنا أكرم سفاف[1]، حسام حسن غازي*[2]

[1] طالبة ماجستير، قسم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.
rana.saffaf@damascusuniversity.edu.sy

[2]* أستاذ مساعد دكتور، قسم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق

Ghazi.houssam70@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

يتناول هذا البحث التشييدات الدفاعية خلال العصر الحجري الحديث، وتنحصر منطقة الدراسة في منطقة المشرق العربي القديم (بلاد الشام والعراق)، مع إجراء مقارنة بسيطة مع بعض مواقع التشييدات في المناطق الجغرافية الأخرى من العالم، يستمد هذا البحث أصالته من كونه يستوعب جميع المواقع التي ظهرت فيها تشييدات دفاعية حتى الآن في مواقع العصر الحجري الحديث في عمل واحد متكامل، وهو يعد ضرورة ملحة لفهم الجذر الباكر لبداية نشوء التشييدات الدفاعية بشكل عام. يتبع البحث المنهج الوصفي بأسلوب تحليلي، ويبدأ بوصف المواقع التي ظهرت فيها تشييدات في كل موقع من المواقع على حدة، من حيث نمطها وأماكن توضعها وبنيتها المعمارية، وأخيراً تحليل معطيات الدراسة الوصفية بهدف الإجابة عن التساؤلات المطروحة.

وتجدر الإشارة إلى أن مصدر المعلومات الأساسي في هذا البحث هو الدراسات التي تناولت المواقع الأثرية المدروسة العائدة إلى العصر الحجري الحديث.

الكلمات المفتاحية: العصر الحجري الحديث، التشييدات الدفاعية، بلاد الشام، العراق، المشرق العربي القديم.

تاريخ الإيداع: 2023/08/17
تاريخ القبول: 2023/09/25

حقوق النشر: جامعة دمشق- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

Defensive Architecturesduring The Neolithic periods,

Case Study: The Ancient Arab Orient

Rana akram Saffaf [1], Hussam Hassan Ghazi [*2]

[1] student, Department of archeology, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University. rana.saffaf@damascusuniversity.edu.sy

[2] Assistant Professor Doctor, Department of archeology, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University

Ghazi.houssam70@damascusuniversity.edu.sy

Abstract:

This research deals with the sites of defensive architectures during The Neolithic Age, and the study area is limited to the ancient Arab East (the Levant and Iraq),With a simple comparison with some architectures sites in other geographic regions of the world.

This research depends on its communication,which accumulates all sites in which defensive architectures have appeared in the Neolithic sites in integrated only work.

Which is an urgent need to understand the early root of the beginning of the defensive architectures in general.

The research follows the descriptive approach in an analytical manner, and begins with describing the sites where defensive constructions appeared in each of the sites separately, in terms of their pattern, places of placement, and architectural structure.

Finally, the analysis of the descriptive study due to answer the questions . It should be noted that the main source of information in this research is the studies that dealt with the studied archaeological sites dating back to the Neolithic period.

Keywords: The Neolithic Age, Defensive architectures,The Levant and Iraq, Arab orient.

Received: 17/08/2023
Accepted: 25/09/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدّمة:

لقد اعتبر الأمن والأمان القيمة الأساسية لبناء الحضارات منذ القدم، فقد كان الهاجس الأساسي للإنسان القديم منصباً دائماً عن البحث عن وسيلة يمكن من خلالها إدامة نمط حياته وتأمين حماية فعالة لها، يدرأ بها الأخطار المحدقة به من كل جانب ابتداءً من مشاكل تقلبات الظروف المناخية والطبيعية من حوله، والتي لم يكن ليقوى على السيطرة عليها، مروراً بحماية نفسه ودوابه من أن تقع فريسة للحيوانات المتوحشة، ثم كان عليه أيضاً أن يحمي نفسه من جيرانه من بني البشر الساكنين معه والمتطلعين لممتلكاته بعين الطمع، أو أن يدفع خطر أعدائه التقليدين سكان المستوطنات الأخرى، فقام ببناء التشييدات الدفاعية والتي بدأت بصورة تشييدات فردية لتأمين أهم ضرورة من ضروريات حياة الإنسان على هذه الأرض، وهي الأمن والأمان، لينعم في ظلها في نعمة الاستقرار والرخاء. وقد بدأت عمليات البناء هذه، مع بداية تحضره واستقراره على الأرض التي استوطنها. ثم ارتسمت تدريجياً المعالم الواضحة للمجتمعات الزراعية وعقائدها الأولى وتعتبر منطقة المشرق العربي القديم من أهم المناطق التي شهدت تحولات هامة على درب التطور الحضاري، فهي من المناطق الأكثر تفاعل ثقافي، وكانت عبر تاريخها السباقة عالمياً في استيعاب معارف الشعوب، وإنتاج التحولات الثقافية، حيث كانت السباقة في ظهور القرى الأولى ثم المدن الأولى وتبعتها مجموعة تطورات ظهرت على إثر ذلك التشييدات الدفاعية، فظهرت فيها قبل أي منطقة أخرى من العالم، لتعمم فيما بعد على بقية المناطق الجغرافية الأخرى.

إشكالية البحث وتساؤلاته:

تُعد منطقة المشرق العربي القديم من أكثر مناطق العالم تفاعلاً عبر العصور، وبالتالي كانت بمثابة البوتقة التي انصهرت فيها معارف الشعوب، وكانت السباقة دائماً إلى إنتاج التحولات الثقافية، حيث ظهرت فيها القرى الأولى خلال عصر الباليوليت المتأخر (الثقافة النطوفية)، وتطورت بشكل تدريجي لتصبح قرى منظمة خلال العصر الحجري الحديث، أحيط بعضها بأسوار دفاعية، بينما عثر في بعضها الآخر على بقايا أبراج دفاعية، فكان المزارعين الأوائل في بلاد الشام وبلاد الرافدين السبّاقين عالمياً في ابتكار التشييدات الدفاعية، التي تطورت بدورها بشكل تدريجي. وأمام تلك الأهمية التي تتمتع بها منطقة المشرق العربي القديم كمنطقة

سباقة في إنتاج التحولات الثقافية، يأتي هذا البحث كاستجابة لدراسة أحد جوانب تلك التحولات وهو التشييدات الدفاعية في العصر الحجري الحديث التي لم تدرس من قبل بالشكل الكافي، وذلك للإجابة عن عدة تساؤلات أبرزها:

1- متى ظهرت التشييدات الدفاعية وأين؟

2- ما هي المخاطر التي دفعت سكان القرى لتشييد التشييدات الدفاعية؟

3- ما هو نمط التشييدات الدفاعية خلال العصر الحجري الحديث؟

4- ما هي مواد البناء المستخدمة في تشييد تلك التشييدات؟

5- ما هي تقنيات تشييد التشييدات الدفاعية خلال العصر الحجري الحديث؟

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الدراسات التي تبحث في العصر الحجري الحديث، فإن الدراسات المختصة بالتشييدات الدفاعية نادرة سواء في منطقة المشرق العربي القديم أو في بقية المناطق الأخرى من العالم ونذكر منها:

دراسة جيمس ميلر (J. Mellaart) عام 1967م: تناولت الدراسة موقع شاتال هويوك(Çatal Hüyük) الواقع في الأناضول، كواحد من أقدم المدن في العالم، وذلك بحسب رأي جيمس ميلر، وقد أقتصر هذه الدراسة على وصف موقع شاتال هويوك فقط، من حيث مكتشفاته الأثرية ونظام الحماية فيه، وجاء فيها أن سكان هذه المستوطنة كانوا يعيشون في بيوت مستطيلة الشكل بنيت على منحدر هضبة، ويتكون كل بيت من طابق واحد، وكان الدخول إلى البيوت يتم من خلال السقف بواسطة سلم خشبي يوضع على الجدار الجنوبي، أما الدخان فكان ينفذ إلى الخارج عبر نفس فتحة الدخول الموجودة في السطح أو عبر النوافذ، وكان التواصل بين الناس يجري فوق الأسطح، حيث كانت السطوح تعج بالسلالم، وبسبب النظام الخاص في الدخول إلى المنازل فقد كانت أطراف المستوطنة تشكل جداراً صلباً للدفاع عنها، وبالتالي شكل هذا الجدار الصلب سور يحيط بالمستوطنة وأمن لها الحماية. وفيما يخص الخطر الذي كان يحيق بالمستوطنة بحسب رأي جيمس ميلر فهو الخشية من ثورة بركان حسن داغ الواقع بالقرب من المستوطنة، وهذا ما استنتجه

جيمس ميلر من خلال رسم جداري في أحد الهياكل في السوية السابعة، يظهر فيه منظراً لمستوطنة شاتال هويوك ومشهد لثورة بركان حسن داغ (ميلارت،1990، 15).

دراسة ن. و .بادر (N. O. Bader) عام 1993م: تناولت الدراسة المباني المكتشفة في تل المغزلية، المتوضعة في الطبقيتين13 و14 من مرحلة الاستيطان الثالثة للتل العائدة للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B، وهي عبارة عن مجموعة من البيوت السكنية وملحقاتها، كما تناولت البنية المعمارية للتشييدات الدفاعية المتمثلة بسور حجري كشفت أجزاء منه في الجهتين الغربية والشمالية من التل، وهو يعدّ بموجب المعطيات الأثرية الحالية أقدم سور دفاعي في بلاد الرافدين وأشارت الدراسة إلى أنه يبدو من خلال الجزء المحفوظ منه أنه مشيّد بعناية، وله بوابة في قسمه الغربي، جدرانها عريضة ومشيدة بالحجارة، ويرجح أن يكون السور مدعم بأبراج دفاعية، حيث عثر في قسمه الشمالي على تشييد يشبه البرج، ولكن وظيفة هذا التشييد مازالت غير محددة بدقة حتى الآن(33، 1993،BADER).

دراسة د.ج. يوكانا (D. G. Youkana) عام 1997م: تناولت هذه الدراسة العمارة في موقع تل الصوان المتوضّع في جنوب مدينة سامراء شمال العراق، على الضفة الشرقية لنهر دجلة، والذي يعود لثقافة سامراء المؤرخة على العصر الحجري الحديث الفخاري، وقد وصّفت الدراسة البنية المعمارية للتشييدات الدفاعية، المتمثلة بسور دفاعي يحيط بالمباني المتوضّعة ضمن المستوى 3 A و B، الذي أمن الحماية للموقع خلال مرحلتين، الأولى تمثلها السوية 3 A وهي مرحلة التأسيس للسور، والثانية تمثلها السوية 3Bوهي استمرارية للسوية السابقة، وتطرقت الدراسة إلى أجزاء السور المكتشفة في الجهات الشمالية والشرقية والغربية من التل، وإلى البوابات التي تخترقه، والمتميزة بمداخل منحنية ليسهل الدفاع عنها، كما تطرقت الدراسة أيضاً إلى الخندق الذي يتقدم السور(YOUKANA,1997,5).

دراسة ج. أ. إسكيفيل (J. A. Esquivel)، و. نافاس (E. Navas) عام 2007م: تناولت هذه الدراسة قرية لوس ميلارس (Los Millares) الواقعة في سانتا فو دو موندیجار (Santa Fe de Mondújar) في الأندلس، العائدة للعصر الحجري النحاسي، والتي تتألف من منطقة مرتفعة محاطة بسور، تليها على المنحدرات ثلاثة مناطق أخرى محاطة بأسوار مدعمة بأبراج نصف دائرية.وقد ركزت هذه الدراسة على بشكل أساسي على التشييدات الدفاعية والعمارة السكنية في هذه المستوطنة (ESQUIVEL et al., 2007,34) .

دراسة ج. س. مارغيرون (J. C. Marguerron) عام 2011م: تناولت هذه الدراسة التشييدات الدفاعية في بعض مواقع عصور ما قبل التاريخ كمقدمة للتشييدات الدفاعية خلال عصر البرونز، فجاء الوصف مقتضباً جداً ومقتصراً على المخطط العام الموقع، ونوعية التشييدات الدفاعية المكتشفة فيه، وهذه المواقع هي: أريحا، وتل مشنقة، وحبوبة الكبيرة، وتل الشيخ حسن .,MARGUERRON) .2011,23)

دراسة أورونش أوليفيي (A. Olivier) عام 2012م: تناولت هذه الدراسة التشييدات الدفاعية في مدينة أريحا العائدة للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار A(9500–8700 ق.م)، وقدمت وصفاً جيداً لتلك التشييدات، المتمثلة بخندق دفاعي محفور في الصخر، وسور من الحجارة بني ضمن الخندق، وبرج دائري ضخم مبني من الحجارة (OLIVIER ,. 2012,47).

إذاً بعد الإطلاع على الدراسات السابقة تبين لنا أنه لا يوجد حتى الآن إي دراسة سابقة مكرسة بشكل أساسي للبحث في التشييدات الدفاعية في بلاد الشام والعراق خلال العصر الحجري الحديث، بل اقتصرت تلك الدراسات على دراسة التشييدات الدفاعية في كل موقع من المواقع العائدة لهذا العصر على حدة، إما بشكل مستقل أو ضمن إطار دراسة العمارة في الموقع. وهذا أيضاً ينطبق على دراسة التشييدات الدفاعية في كل من الأناضول وأوربة، التي نلحظ فيهما غياب الدراسات المكرسة للبحث في التشييدات الدفاعية، واقتصارها أيضاً على دراسة تلك التشييدات في كل موقع من المواقع العائدة للعصر الحجري الحديث على حدة.

ونلحظ أيضاً من خلال الإطلاع على الدراسات السابقة أن أغلبها اقتصر على دراسة تلك التشييدات من الناحية الوصفية فقط، بدون التركيز على دراسة الأسباب التي استوجبت تشييدها.

وبالتالي فإن ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة هو أنها تمثل أول دراسة متكاملة للتشييدات الدفاعية في منطقة المشرق العربي القديم خلال العصر الحجري الحديث، وأنها مكرسة لدراسة التشييدات الدفاعية في جميع المواقع العائدة لهذا العصر وليس في موقع واحد أو منطقة جغرافية واحدة من مناطق المشرق العربي القديم.

وتتميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة أيضاً من كونها لا تقتصر على الجانب الوصفي للتشييدات الدفاعية، بل تبحث في الأسباب التي استوجبت تشييدها، وتبحث في مراحل تطور التشييدات الدفاعية خلال العصر الحجري الحديث، وتبحث أيضاً في تقنيات تشييد تلك التشييدات الدفاعية، وفي الخصوصية التي كانت تتمتع بها تلك التشييدات في منطقة المشرق العربي القديم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات سابقة الذكر، وإعطاء فكرة متكاملة عن التشييدات الدفاعية خلال العصر الحجري الحديث في منطقة المشرق العربي القديم (بلاد الشام والعراق).

أصالة البحث:

تتمثل أصالة البحث من كونه يستوعب جميع مواقع التشييدات الدفاعية المكتشفة في مواقع العصر الحجري الحديث، في منطقة المشرق العربي القديم(بلاد الشام والعراق) في عمل واحد متكامل.

مبررات البحث:

يعد هذا البحث حاجة ماسة لتغطية جانب–غير مدروس سابقاً بالشكل الكافي– من جوانب البحث العلمي الهادف لفهم بداية تحصين وحماية مجتمعات العصر الحجري الحديث في كل من بلاد الشام والعراق.

حدود البحث:

الحدود المكانية : منطقة المشرق العربي القديم وتشمل (بلاد الشام والعراق).

الحدود الكرونولوجية (الزمانية) : العصر الحجري الحديث.

منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لوصف التشييدات الدفاعية من حيث مواقعها ومخططاتها ومواد بنائها وتقنيات البناء وطريقة توزعها... وتحليل البيانات التي تم جمعها للوصول لأفضل النتائج، مع الإشارة إلى أن البحث سوف يعالج جميع التشييدات الدفاعية التي تم اكتشافها في منطقة المشرق العربي القديم خلال العصر الحجري الحديث.

المواقع الأثرية موضوع الدراسة:

1-موقع أريحا (تل السلطان): تقع أريحا على بعد 37كم إلى الشمال الشرقي من مدينة القدس، بدأت التنقيبات الأثرية في التل منذ عام 1868م، حيث قام الآثاري الإنكليزي شارل وارن (WARREN C.) بإجراء سبر بسيط في الموقع وبين أهميته. وفي عام 1930م استؤنفت التنقيبات الأثرية في التل من قبل الآثار الإنكليزي جون غارستانغ (GARSTANG J.)، حيث أجرى عدة مواسم تنقيب(GARSTANG 1940.. 601-602). وفي عام 1952م، قامت عالم الآثار الإنكليزية كاثلين كينيون (KENYON K.) بإجراء تنقيبات أثرية منهجية في التل، استمرت حتى عام 1958م.

(KENYON. 1959. 5-9). ثم استؤنفت مجدداً في عام 2009م من قبل بعثة أثرية فلسطينية-إيطالية مشتركة بإشراف الآثاري الإيطالي لورينزو نيغرو والآثاري الفلسطيني حمدان طه، وذلك بهدف كشف آثار الاستيطان العائد بشكل أساسي للعصور التاريخية (NIGRO 2019. 79-108). كشفت التنقيبات الأثرية في تل السلطان عن 20 طبقة أثرية، يعود أقدمها لعصور ما قبل التاريخ، يليها الطبقات العائدة لعصر البرونز والحديد، ثم الطبقات العائدة للعصور الكلاسيكية، وأخيراً الطبقات العائدة للعصور الإسلامية. بالنسبة للطبقات الأثرية العائدة لعصور ما قبل التاريخ يؤرخ أقدمها على العصر الحجري القديم المتأخر، وعثر فيها على آثار تعود للثقافة النطوفية (12500-10000 ق.م)، يليها الطبقات العائدة للعصر الحجري الحديث، حيث عثر على آثار مدينة محصنة تعود للعصر الحجر الحديث ما قبل الفخار A وتؤرخ على نحو (9500-8700 ق.م).

تتمثل التشييدات الدفاعية في مدينة أريحا النيوليتية بخندق دفاعي محفور في الصخر، وسور من الحجارة بني ضمن الخندق، وبرج دائري ضخم مبني من الحجارة. تتوضع تلك المكتشفات على الحافة الغربية للتل، ويرجح أن يكون هناك استمرارية للسور، وذلك بحسب الخندقين المحفورين فوق التل في الجهتين الشمالية والجنوبية. تؤرخ تلك التشييدات على العصر الحجر الحديث ما قبل الفخار 9500)A–8700 ق.م)، وبالتالي فهي مكرسة لحماية المدينة العائدة لتلك الفترة والتي كشفت التنقيبات الأثرية الكثير من أجزاءها(CAUVIN ., 1978,. 32).

الخندق: حفر هذا الخندق على الحافة الغربية للتل، وهو محفور في الصخر بعرض ثمانية أمتار ونصف، وبعمق يزيد على المترين (ميلارت، 1990. 43).

السور: شيد السور الدفاعي ضمن الخندق المحفور بالصخر، وهو يستند على البرج الدائري، ومشيد بالحجارة، بلغ عرضه ثلاثة أمتار، بارتفاع يصل إلى 3،94م، وكشف منه نحو ثمانية أمتار طولاً(CAUVIN , 1978. 32) ويعتقد أنه عثر عليه مرة أخرى بعرض أقل في الخندقين الآخرين، الشمالي والجنوبي، ويرجح أنه يمثل خط دفاعي أول للموقع. وتشير نتائج التنقيبات إلى أن إقامة السور كانت نتيجة تكدس ركام الأبنية، إلا أن إعادة بنائه مرتين أعطته ارتفاعاً وصل إلى أكثر من خمسة أمتار، ثم جاء فوقه بناء من اللبن غير محدد الارتفاع (ميلارت، 1990 ، 43–44).

البرج الدفاعي: شيد هذا البرج ضمن الخندق الدفاعي، وهو مبني بالحجارة، وبلغ ارتفاعه 8،5م، وبلغ عرضه عند القاعدة 10م، وله درج داخلي مؤلف من 22 درجة يصل إلى قمته(CAUVIN , 1978, 32) .

وصنعت تلك الدرجات بلاطات عرض كل منها 1م، وفي أسفل الدرجات يوجد ممر بطول 3،94م يؤدي إلى باب ارتفاعه 1،70م عند الطرف الشرقي من البرج، وتجدر الإشارة إلى أن البرج ناتئ على الداخل وليس على خارج الجدار. تم ترميم البرج مرتين عندما تم إعادة بناء سور المدينة، وبعد خروجه من الاستعمال احتلت القبور الممر وسد الباب، الشكل(1)، وكشفت التنقيبات الأثرية أيضاً عن قناة تصرف المياه من قمة البرج إلى سلسلة من الحظائر مبنية في الجانب الشمالي للبرج، وإلى الجنوب من البرج عثر على مخازن

لتخزين الحبوب. واحتلت المنازل غرف التخزين. كما عثر على مواد مستوردة من مناطق مختلفة، وأبرز تلك المواد الزجاج البركاني الأسود والنفريت والحجر الأخضر وهي مواد مستوردة من الأناضول، وعثر على الفيروز المستورد من سيناء، إضافة إلى الودع الأصفر من البحر الميت، كما كانت أريحا تسيطر على مصادر البحر الميت من الملح والكبريت والقار، وهذا يدفعنا إلى القول أن مدينة أريحا كانت تتمتع بمكانة اقتصادية مهمة على طرق التجارة القديمة، وكانت تمثل مركز الاستيطان الأبرز في المشرق الجنوبي خلال عصر النيوليت ما قبل الفخار A(ميلارت ، 1990 ، 45).

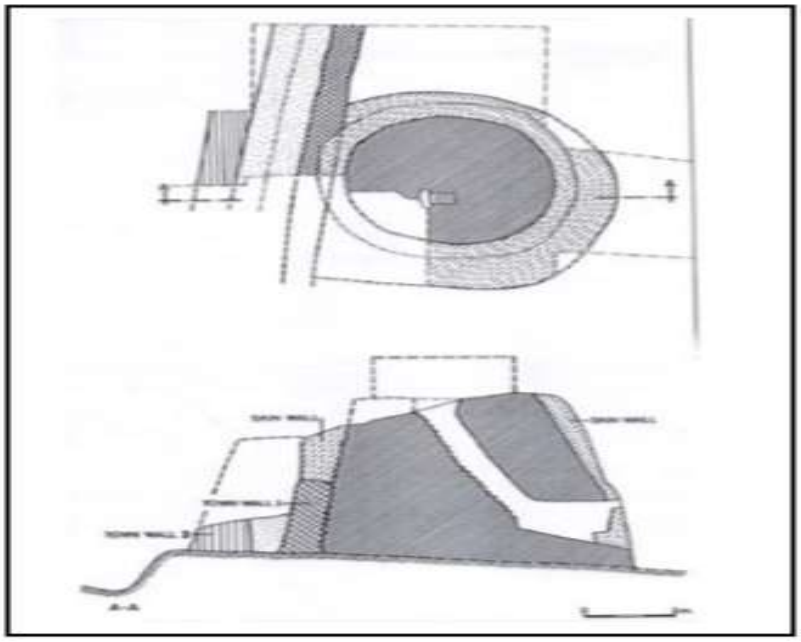

الشكل (1) مخطط البرج الدفاع في أريحا.(MARGUERRON. 2011. 15)

2-موقع تل القرامل: يقع تل القرامل على بعد 25كم إلى الشمال من مدينة حلب السورية، بدأت التنقيبات الأثرية في التل منذ عام 1999م، ممثلة من قبل البعثة السورية البولونية واستمرت لعدة مواسم حتى عام 2011م، تحت إشراف البرفسور ريزارد ف. مازورورفيسكي على الجانب البولوني، وتم تمثيل الجانب السوري د.بسام جاموس ود.يوسف كنجو، وقدتم تنقيب أكثر من 800متر مربع، كشفت التنقيبات الأثرية في تل القرامل عن عدة طبقة أثرية، وهي تغطي فترة طويلة من الزمن، يعود أقدمها لعصور ما قبل التاريخ،

وبالتحديد عصر ماقبل العصر الحجري الحديث والعصر الحجري الحديث ماقبل الفخار A، يليها الطبقات العائدة لعصر البرونز والحديد، ثم الطبقات العائدة للعصر الهلنستي، وأخيراً الطبقات العائدة للفترة العثمانية. بالنسبة للطبقات الأثرية العائدة لعصور ما قبل التاريخ، بينت النتائج وجود استمرار في الاستيطان ومن دون انقطاع من مرحلة ماقبل العصر الحجري الحديث إلى مرحلة العصر الحجري الحديث ماقبل الفخار A أي من(10700–9400 ق.م)، إضافة إلى تم الكشف عن فترة استيطان أقدم تعود إلى الفترة 14000–12000 قبل الميلاد(كنجو، 2014، 2.–12). تتألف البنية المعمارية للتشييدات الدفاعية في تل القرامل من خمسة أبراج متتالية زمنياً وجدت في المكان نفسه أخرها البرج الأول.

البرج الأول: شيد البرج فوق بقايا البرج الثاني الشكل(2) مما حول موقعه نحو متر واحد نحو الشمال، وهو آخر الأبراج وأصغرها، بني بشكل شبه دائري وبقطر 6.5 متر تقريباً، ومشيد بالحجارة بلغ سماكة جداره نحو 1.50 متر، وشيد الجزء الجنوبي الشرقي للبرج من كتل حجرية كبيرة، تشكلت الوجوه الخارجية والداخلية للبرج من صفوف مفردة من الحصى والمسافة بينها مليئة بالطين المختلط مع حصى صغيرة.

البرج الثاني: شيد البرج فوق أنقاض البرج الثالث ولكن بمساحة أكبر، وهو بشكل مستدير وحجم ضخم وبقطر 7.50متر تقريباً، شيد بالحجارة بلغ سماكة جداره 2.25 متر، تشكلت الوجوه الخارجية والداخلية للبرج من كتل الحجر الجيري الكبيرة والمسافة بينها مليئة بالحجارة الصغيرة ورقائق الصخور الممزوج بالطين بسماكة 2–3 سم تقريباً.

البرج الثالث: شيد البرج فوق أنقاض البرج الرابع، وهو بشكل مستدير وقد تم رفعه عن سطح الأرض، وبلغ قطره 6م تقريباً، شيد بألواح مسطحة من الحجر الجيري بالإضافة للحصى الصغيرة الممزوجة بالطين المحمر.

البرج الرابع: شيد البرج الرابع فوق البرج الخامس، وهو بشكل دائري، وبقطر 5.50متر تقريباً، غمر الجزء السفلي من أساس الجدار في الأرض على مستوى البرج الخامس، شيد بالحجارة والطين وكميات كبيرة من الحصى ذات الحجم الصغير والمتوسط بلغ سماكة جداره 0.80متر (Mazurowski ،et al,2012,50–295).

البرج الخامس: أقدم برج في الموقع، وهو بشكل بيضوي ويبلغ قياسه 5.00×6.00 متر تقريباً، شيد البرج من صف مزدوج من كتل الحجر الجيري الكبيرة مكونة جدار ضخم الذي أقيم فوق الخندق، وملئت المساحة بين الوجه الخارجي للجدار وحافة الخندق بالطين، أما الأرضية كانت مصنوعة من ألواح مسطحة كبيرة وبالإضافة لألواح من الحجر الجيري.(Mazurowski ،et al,2012,48–295).

كشفت التنقيبات الأثرية بين أنقاض القرية العائدة لعصر النيوليت ما قبل الفخار A على هيكل فريد في نوعه، وهو عبارة عن مبنى ضخم(10×5)م ومقسم من الداخل إلى ثلاثة أجزاء، وتم التأكيد على دوره الاستثنائي بحياة سكان القرامل من خلال وجود 27قبر بشري و4قبور حيوانية بداخله، كما عثر على موقد كبير في المركز وأداة صوانية طويلة من نوع أريحا ودمية مؤنثة مصنوعة من الحجارة الكلسية البيضاء ومصطبة ذات شكل هلالي كل ذلك يدل أنه مخصص للطقوس (كنجو،5،2014).

فسرت تلك الأبراج من قبل المنقبين في الموقع منذ بداية اكتشافها فيما يخص البرج الأول والثاني على أنها أبراج دفاعية، بينما فسرت الأبراج الثالث والرابع والخامس على أنها مبنى جماعي مركزي أو مبنى ديني أو أضرحة أو مخازن مهمة أو أي مبنى آخر يدل على وجود سلطة مركزية قامت بالتخطيط والتنظيم. ويرى الدكتور يوسف كنجو أن وظيفة الأبراج تغيرت مع مرور الزمن بين دفاعية وطقوسية.

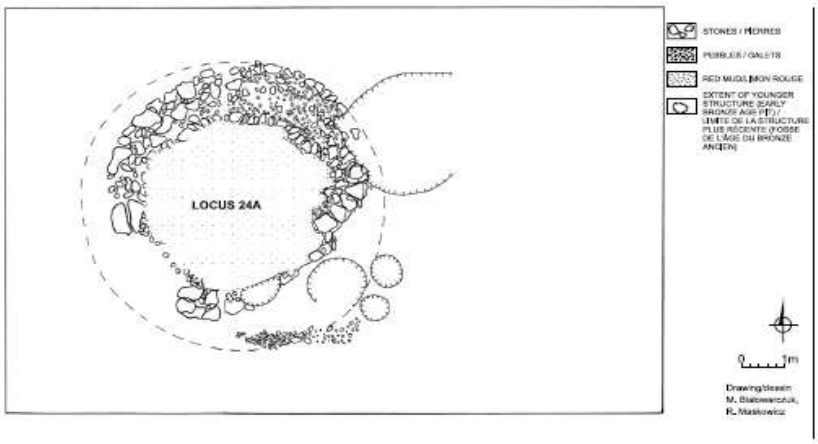

الشكل(2) مخطط عام للبرج الأول(Mazurowski ،et al,2012,163–295).

3- تل حالولة: تل أثري متوضّع في وادي الفرات الأوسط بالقرب من مدينة منبج في محافظة حلب، تبلغ مساحته نحو 7 هكتارات، وهو تل شبه دائري الشكل، يرتفع نحو 11م فوق الوادي المجاور له، وتعود بداية استيطانه للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الأوسط، واستمر استيطانه بدون انقطاع حتى ثقافة حلف العائدة للعصر الحجري النحاسي. تم تنقيب تل حالولة بين عامي 1991 و2011م من قبل بعثة أثرية سورية-إسبانية مشتركة تعمل بإشراف ميغيل موليست (MOLIST M.)) (TAHA, et al, 2017,53). كشفت التنقيبات الأثرية في تل حالولة عن مرحلة طويلة من الاستيطان تغطي الفترة المؤرخة على نحو 7800 إلى 5400 ق.م، وتشمل تلك الفترة المرحلتين الوسطى والحديثة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B، والعصر الحجري الحديث الفخاري، والعصر الحجري النحاسي الباكر (ثقافة حلف)(MOLIST. 2001,35-52).

تتمثل التشيدات الدفاعية التي عثر عليها حتى الآن في تل حالولة ببقايا سور دفاعي، يؤرخ على العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الحديث، ويتوضع الجزء المكتشف منه في القطاع 2G من الموقع في عام 2008م قامت البعثة الأثرية العاملة في الموقع بالتوسع في التنقيبات الأثرية خارج حدود المنطقة السكنية في القطاع 2G، الذي يضم آثار استيطان تعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الحديث، وهذا ما أدى إلى كشف بقايا السور الدفاعي، المشيد بالآجر على قاعدة حجرية، حيث كشف منه في عام 2008م ثمانية أمتار فقط، تحتوي على 28 حفرة لأعمدة دعم جميعها متحازية، وتشكل خط مستقيم يمتد لثمانية أمتار، ومازالت هذه السوية قيد التنقيب(موليست، وآخرون، 17،2010).

تتمثل البنية المعمارية للمنطقة المحصنة بآثار القرية العائدة للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الحديث، التي بلغت مساحتها نحو ثمانية هكتارات، والتي تبدو بموجب المعطيات الأثرية المكتشفة قرية منظمة، مؤلفة من بيوت مفصولة عن بعضها بمساحات خارجية، بنيت فيها مواقد وأفران وورش حرفية، وكانت تلك البيوت مستطيلة الشكل، متعددة الغرف، ويلحق بها مخازن للحبوب. وشيدت تلك البيوت على قاعدة حجرية، وكانت جدرانها من الآجر، ومطلية من الداخل بالجص، الذي استعمل أيضاً لطلي سطوح أغلبية الغرف.

لم يعثر على أي مكتشفات أثرية مقترنة بالسور الدفاعي، ويعود السبب في ذلك على الأرجح لضيق المساحة المنقبة. كما أنه لم يعثر إلا على بعض المكتشفات الأثرية المقترنة بالمنطقة المحصنة أبرزها المخازن وبقايا الغلال والمواقد والأفران والورش الحرفية، التي تدل على الأهمية الاقتصادية التي تمتعت بها المستوطنة (موليست، وآخرون، 17،2010).

وتشير معطيات الدراسة الوصفية إلى أن الهدف من تشييد السور كان حماية المنشآت المعمارية المتوضّعة داخل المنطقة المحصنة، المتمثلة ببيوت ومنشآت القرية العائدة للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الحديث.

أما عن طبيعة المخاطر التي استشعرها سكان الموقع ودفعتهم لتحصينه فهي تتمثل بناءً على الدراسة الوصفية بالحماية من خطر فيضان نهر الفرات، إضافة إلى احتمال تعرض الموقع لهجمات خارجية.

4–موقع تل الصوان: تل أثري يقع جنوب مدينة سامراء في شمال العراق، وهو يتوضّع على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وتبلغ مساحته نحو 2.4 هكتارات، وتقدر أبعاده بنحو 220 x 110 م.

بدأت التنقيبات الأثرية في التل منذ عام 1911م، بتنقيبات محدودة وفي عام 1964م استؤنفت التنقيبات الأثرية في التل من قبل بعثة أثرية عراقية، استمرت حتى عام 1969م، وفي عامي 1988 و1989م تم القيام بموسمي تنقيب من قبل سعيد الدمرجي، ثم توقفت التنقيبات الأثرية في التل بشكل نهائي (BRENIQUET. 1992،5).

كشفت التنقيبات الأثرية عن خمسة مستويات أثرية في تل الصوان وهي من الأقدم إلى الأحدث:

المستويين 1 و2: وهما الأقدم، ويعودان للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الحديث.

المستوى 3A : يؤرخ على العصر الحجري الحديث الفخاري، وهو يعود بحسب الفخار المكتشف إلى ثقافة سامراء، وتؤرخ على هذا المستوى الأجزاء المكتشفة من السور الدفاعي.

المستويين 3B و4: يمثلان استمرارية للمستوى 3A، وهما يؤرخان على العصر الحجري الحديث الفخاري، ويعودان لثقافة سامراء.

المستوى 5: يؤرخ على العصر الحجري النحاسي، وهو يعود لثقافة حلف (BRENIQUET,1991,75-90) .

إذاً يغطي الاستيطان في تل الصوان الفترة الممتدة من العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الحديث حتى ثقافة حلف العائدة للعصر الحجري النحاسي، وقد عثر على آثار التشييدات الدفاعية ضمن المستويات الأثرية المؤرخة على العصر الحجري الحديث الفخاري، العائدة لثقافة سامراء.

تتمثل البنية المعمارية للتشييدات الدفاعية في تل الصوان بسور دفاعي الشكل(3) يحيط بالمباني المتوضّعة ضمن المستوى A 3 وB. وتشير نتائج التنقيبات الأثرية إلى أن السور قد أمن الحماية للموقع خلال مرحلتين، الأولى تمثلها السوية A 3 وهي مرحلة التأسيس للسور، والثانية تمثلها السوية 3Bوهي استمرارية للسوية السابقة. كشفت أجزاء هذا السور في الجهات الشمالية والشرقية والغربية من التل، ويبدو من خلال الأجزاء المكتشفة أنه مستطيل الشكل، ومشيّد باللبن، ومكسو بالجص، وهو مدعم بالعضائد، وتبلغ سماكته نحو 1م، أما ارتفاعه فهو يتفاوت بين منطقة وأخرى تبعاً لدرجة الحفظ. وتتخلل السور بوابات لها مداخل منحنية ليسهل الدفاع عنها، وقد كشف إحداها في الجدار الشمالي للسور. ويتقدم السور خندق حفر بعمق 3م، وبعرض نحو 2،5م من الأعلى، ونحو 50سم من الأسفل، وهذا ما أدى إلى زيادة ارتفاع السور الدفاعي (YOUKANA.,1997, 5).

تتمثل البنية المعمارية للمنطقة المحصنة بمجموعة من المباني التي تأخذ شكل الحرف T، وكانت تلك المباني مشيدة باللبن المقولب، ومزودة بالعضائد، وكانت أرضياتها وجدرانها مطلية بالجص، وقد فسّرت بعض تلك المباني على أنها معابد، بينما فسّر بعضها الآخر على أنها بيوت سكنية، وتلحق بها مشاغل ومخازن للغلال. وشكلت تلك المباني مجتمعة قرية منظمة، تتوزع مبانيها حول باحات مزودة بغرف تخزين ومواقع وتنانير، وكذلك على جانبي الشوارع الرئيسية والفرعية التي رصف بعضها بالحصى، والتي كشف في بعضها عن أقنية فخارية خاصة بتصريف المياه إلى خارج المستوطنة.

تتمثل المكتشفات الأثرية المقترنة بالمنطقة المحصنة بالمخازن وبقايا الغلال التي عثر عليها في باطن أغلب المخازن، وهي تدل على الأهمية الاقتصادية التي تمتعت بها المستوطنة، من حيث احتوائها على عدد كبير من المخازن، لتأمين استقرار غذائي لسكان المستوطنة طيلة العام. ومن المكتشفات الأثرية المقترنة بالمنطقة المحصنة أيضاً كانت الأختام المسطحة التي تدل على المستوى الاقتصادي

المتطور الذي بلغته المستوطنة خلال عصر ثقافة سامراء. وتتمثل المكتشفات الأثرية المقترنة بالمنطقة المحصنة وبالتشييدات الدفاعية معاً، بالكسر الفخارية العائدة لثقافة سامراء، التي تعدّ مؤشراً على تاريخ المستوطنة وتاريخ تشييداتها الدفاعية، حيث عثر على عدة أنواع من الأواني الفخارية العائدة لثقافة سامراء أبرزها الجرار والطاسات والصحون والكؤوس التي حملت زخارف هندسية ونباتية وحيوانية متنوعة تشير معطيات الدراسة الوصفية إلى أن التشييدات الدفاعية في موقع تل الصوان كانت عبارة عن سور دفاعي يتقدمه خندق، كشفت أجزاء منه في الجهات الشمالية والغربية والشرقية من التل، وهي تؤرخ على النصف الثاني من الألف الخامس ق.م، وتوضّعت تلك الأجزاء المكتشفة ضمن المستوى 3 A و B الذي يؤرخ على العصر الحجري الحديث الفخاري، ويعود لثقافة سامراء.

وتشير معطيات الدراسة الوصفية إلى أن الهدف من تشييد السور كان حماية المنشآت المعمارية المتوضّعة داخل المنطقة المحصنة، وهي عبارة عن مجموعة من المباني التي تأخذ شكل الحرف T، فسّرت بعضها على أنها معابد، بينما فسّر بعضها الآخر على أنها بيوت سكنية، وتلحق بها مشاغل ومخازن للغلال، وقد شكلت تلك المباني مجتمعة قرية منظمة.

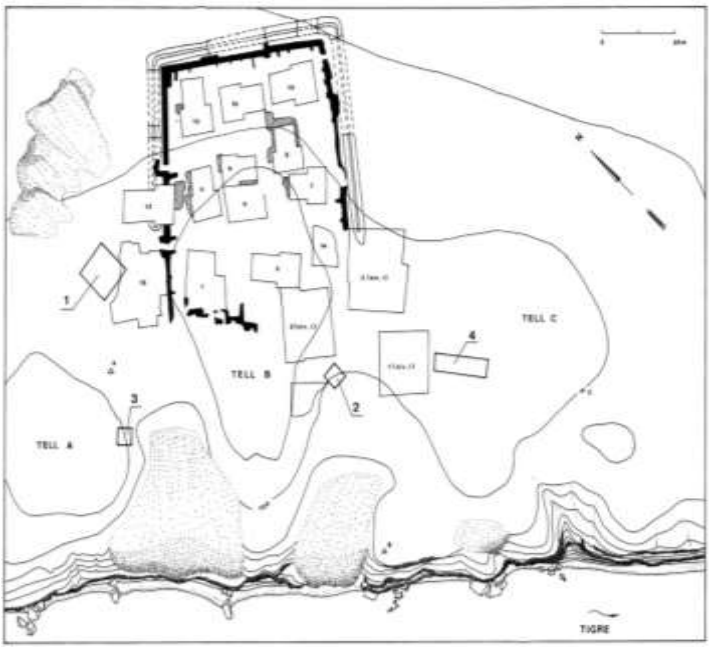

الشكل(3) السور الدفاعي في تل الصوان.

BRENIQUET C. 2016,P.142

5- تل المغزلية: تل أثري يقع إلى الشمال الغربي من مدينة تلعفر في سفوح جبل سنجار شمال العراق، على بعد نحو 7،5كم إلى الشمال الغربي من موقع ياريم تبة الأثري، وتبلغ مساحته نحو 0،65 هكتار. يعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B، ويؤرخ على نهاية الألف الثامن ق.م.تم تنقيب هذا التل بين عامي 1977 و1980م من قبل بعثة أثرية روسية تعمل بإشراف الباحث أوت ن. بادر (Otte N. Bader)، الذي قام بتنقيب مساحة 625م^2 من المساحة الإجمالية للموقع البالغة نحو 0،65 هكتار، وبلغت سماكة الطبقات الأثرية نحو 8،2م (BADERN,et al,1994,6).

وهي مؤلفة من 16 طبقة أثرية، تؤلف ثلاثة مراحل أساسية من الاستيطان وهي: المرحلة الأولى (الطبقات 1 – 5)، المرحلة الثانية (الطبقات 6–12) والمرحلة الثالثة (الطبقات 13–16)، وتؤرخ جميع الطبقات على العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B (BADERN,et al,1994,7).

تتمثل البنية المعمارية للتشييدات الدفاعية في تل المغزلية بسور حجري كشفت أجزاء منه في الجهتين الغربية والشمالية من التل، وهو يعدّ بموجب المعطيات الأثرية الحالية أقدم سور دفاعي في بلاد الرافدين. شيّد هذا السور بالحجر، وهو محفوظ حتى ارتفاع 1،5م، ولكن طوله وعرضه غير معروفين حتى الآن نتيجة لضيق المساحة المنقبة من الموقع، وتركز التنقيبات على المنشآت السكنية المتوضّعة في وسط التل. ويبدو من خلال الجزء المحفوظ منه أنه مشيّد بعناية، وله بوابة في قسمه الغربي، جدرانها عريضة ومشيدة بالحجارة، ويرجح أن يكون السور مدعم بأبراج دفاعية، حيث عثر في قسمه الشمالي على تشييد يشبه البرج، ولكن وظيفة هذا التشييد مازالت غير محددة بدقة حتى الآن.(BADER. 1993,7-40).

كشفت التنقيبات الأثرية داخل المنطقة المحصنة المتوضّعة في الطبقيتين 13 و 14 من مرحلة الاستيطان الثالثة للتل عن مجموعة من البيوت السكنية، مبنية وفقاً للمخطط المستطيل الشكل، أرضياتها مطلية بالجص، وجدرانها مبنية من التراب المدكوك على أساسات حجرية، ويلحق ببعض البيوت مستودع للتخزين، ومطبخ، وحيّز خارجي يستخدم للنشاطات اليومية. ولم يعثر في تل المغزلية على أي نوع من المباني الجماعية، كما أنه لم يتم توثيق أي خطر طبيعي يهدد المستوطنة. أقتصر المكتشفات الأثرية المقترنة بالتشييدات

الدفاعية وبالمنطقة المحصنة على الأدوات الحجرية المصنوعة من الأوبسيديان، التي عثر عليها بكثافة في الموقع، وهي مواد مستوردة من مناطق الأناضول التي تبعد حوالي 300كم عن الموقع، وبالتالي كان للموقع صلات ثقافية مع مواقع الأناضول خلال تلك الفترة، كما كان محطة أساسية على الطريق التجارية التي سلكها الأوبسيديان من الأناضول إلى وسط وجنوب بلاد الرافدين، ومناطق زاغروس، وهذا ما جعل الموقع يتمتع بأهمية اقتصادية كبيرة(VINCENZO, 1994 ,18).

وتشير معطيات الدراسة الوصفية إلى عدم وجود أي مصدر لخطر طبيعي يهدد المنطقة المحصنة، وبالتالي فإن الهدف من تشييد السور الدفاعي كان حماية البيوت السكنية المتوضّعة داخل المنطقة المحصنة من هجمات محتملة، أو على الأرجح حماية كميات الأوبسيديان المستوردة والمخزنة في الموقع قبل توزيعها، وخاصة أن الموقع كان يمثل محطة أساسية على الطريق التجارية التي سلكها الأوبسيديان من الأناضول إلى وسط وجنوب بلاد الرافدين ومناطق زاغروس.

وبالنسبة لمواد البناء، فهي بحسب الجزء المكتشف من السور تتمثل بالحجارة، المشيدة بالطريقة التقليدية المعروفة خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B في شمال بلاد الرافدين. أما بالنسبة للإستراتيجية الدفاعية المتبعة في الموقع فهي تقليدية جداً، ومقتصرة على السور الدفاعي المشيد بالحجارة، والمدعّم على الأرجح بأبراج دفاعية، وتخترقه بوابة في قسمه الغربي توصل إلى داخل المستوطنة، وعلى الرغم من بساطة الإستراتيجية الدفاعية المتبعة لحماية الموقع إلا أنها تتمتع بأهمية أثرية كبيرة كونها تمثل أقدم تشييدات دفاعية في بلاد الرافدين.

6- تل جوخا مامي: تل أثري يقع في منطقة مندلي في محافظة ديالى شرق العراق، وهو تل كبير يبلغ طوله نحو 200م، ويرتفع ما بين 2 و5 م عن محيطه، ويعدّ أحد أهم المواقع الأثرية العائدة لثقافة سامراء في العراق.

تم تنقيب تل جوخا مامي خلال الفترة من 2 كانون الأول عام 1967م إلى 26 شباط 1968م، وذلك من قبل بعثة أثرية تعمل بإشراف كل من جوان واتس (Joan Oates) ودافيد واتس (David Oates).

كشفت التنقيبات الأثرية في تل جوخا مامي عن مستوطنة تعود لثقافة سامراء، تؤرخ على العصر الحجري الحديث الفخاري، وتغطي الثلث الأخير من الألف السادس ق.م، وعثر ضمن أنقاضها على آثار برج دفاعي، وتلتها آثار استيطان يعود لثقافة عبيد، ويؤرخ على العصر الحجري النحاسي(OATES. 1969, 115-152).

اقتصرت التشييدات الدفاعية في تل جوخا مامي بموجب المعطيات الأثرية الحالية على بقايا برج دفاعي ينتصب أمام أحد مداخل المستوطنة، وبالتحديد على الحافة الشمالية لمدخل المستوطنة. عثر عليه ضمن السوية الأثرية العائدة لثقافة سامراء وهو يؤرخ على الثلث الأخير من الألف السادس ق.م، وقد تم تشيّده بالطوب اللبن، ويلحظ غياب أي دليل على أنه كان جزءاً من سور دفاعي يحيط بالمستوطنة، وقد اقتصر وصف البرج من قبل المنقبين على ما أوردناه هنا.

كشفت التنقيبات الأثرية داخل المنطقة المحصنة العائدة لثقافة سامراء عن مجموعة من البيوت السكنية، المؤلفة من صفين أو ثلاثة صفوف من الغرف الصغيرة الشكل(4)، وقد بلغ حجم أكبرها حوالي 7 x 10 م، وهي تحتوي على اثني عشر غرفة موزعة على ثلاثة صفوف. شيدت تلك البيوت من الطوب اللبن، واستخدمت الدعامات الحجرية في تقاطعات الجدران والفواصل عند الزوايا (OATES. 1969.4–5).

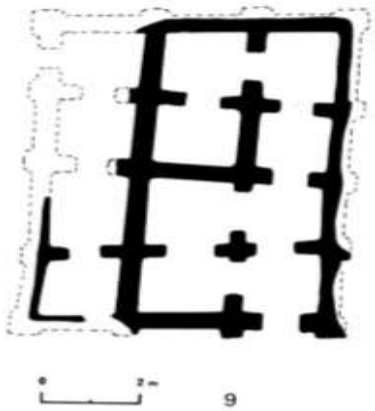

الشكل(4) مخطط لأحد البيوت السكنية العائدة لثقافة سامراء في تل جوخا مامي.

(AURENCHE,1981, 48.)

تتمثل المكتشفات الأثرية المقترنة بالتشييدات الدفاعية وبالمنطقة المحصنة بكسر الأواني الفخارية العائدة لثقافة سامراء، والتي أمكن من خلالها تأريخ البرج الدفاعي والبنية المعمارية للمنطقة المحصنة على الثلث الأخير من الألف السادس قبل الميلاد(OATES. 1969.4-5). وتشير معطيات الدراسة الوصفية إلى عدم وجود أي مصدر لخطر طبيعي يهدد المنطقة المحصنة، وبالتالي فإن الهدف من تشييد البرج الدفاعي كان حماية مدخل المستوطنة من هجمات خارجية محتملة، ولكن ماذا عن بقية أطراف المستوطنة؟ التي لم تقدّم التنقيبات الأثرية أي دلائل على احتمالية وجود سور دفاعي يؤمّن لها الحماية، كما أنها لم تقدم أي دليل على أن البرج الدفاعي المكتشف كان يشكل جزءاً من سور دفاعي يحيط بالمستوطنة، وبالتالي هل يمكننا تفسير ذلك بأن جدران البيوت السكنية كانت توفر الحماية للمستوطنة كما هو الحال في مستوطنة شاتال هويوك الأناضولية؟ بالعودة إلى نتائج التنقيبات الأثرية في تل شوغا مامي فإن حجم المساحة المنقبة لا تساعدنا في الإجابة على هذا التساؤل، إذ اقتصر التنقيبات الأثرية على أجزاء محددة من التل، وبالتالي لا يمكننا الذهاب في تفسير النظام الدفاعي في التل أبعد من ذلك وفقاً للمعطيات الأثرية الحالية.

وفيما يخص مواد البناء، يشير الجزء المكتشف من البرج الدفاعية إلى أنه كان مشيد بالطوب اللبن، وهي نفس مادة البناء المستخدمة في تشييد البيوت السكنية في الموقع. أما بالنسبة للإستراتيجية الدفاعية المتبعة لحماية المستوطنة، فهي كما ذكرنا سابقاً مازالت غير قابلة للتفسير وفقاً للمعطيات الأثرية الحالية.

نتائج البحث:

بلغ عدد المواقع التي عثر فيها على تشييدات دفاعية في بلاد الشام والعراق خلال العصر الحجري الحديث ستة مواقع وهي: موقع أريحا وتل قرامل وتل حالولة وتل المغزلية وتل الصوان وموقع تل جوخامامي.

الموقع	المنطقة الجغرافية	العصر	نمط التشييدات الدفاعية
أريحا	بلاد الشام فلسطين	النيوليت ما قبل الفخار A الثقافة السلطانية(9500–8700 ق.م)	خندق دفاعي محفور في الصخر، وسور من الحجارة بني ضمن الخندق، وبرج دائري ضخم مبني من الحجارة
تل قرامل	بلاد الشام سورية	النيوليت ما قبل الفخار A الثقافة المريبطية(10700–9400 ق.م)	بقايا خمسة أبراج دفاعية متوضعة فوق بعضها البعض
تل حالولة	بلاد الشام سورية	العصر الحجري الحديث ماقبل الفخار Bالحديث (7800 إلى 5400ق.م)	بقايا سور دفاعي مشيد بالآجر على قاعدة حجرية
تل المغزلية	العراق	العصر الحجري الحديث ماقبل الفخار Bالحديث ويؤرخ على نهاية الألف الثامن ق.م	بقايا سور دفاعي مشيد بالحجر يضم بوابة بقسمه الغربي ويرجح أن يكون السور مدعم بأبراج دفاعية
تل الصوان	العراق	العصر الحجري الحديث الفخاري ثقافة سامراء ويؤرخ على الثلث الأخير من الألف السادس ق.م	سور دفاعي مشيد باللبن ومكسو بالجص ويتخلله بوابات ويتقدمه خندق
تل جوخا مامي	العراق	العصر الحجري الحديث الفخاري ثقافة سامراء	بقايا برج دفاعي شيد بالطوب اللبن، ينتصب أمام أحد مداخل المستوطنة

التشييدات الدفاعية في بلاد الشام والعراق خلال العصر الحجري الحديث. من إعداد الطالبة.

أولاً: تشير المعطيات الكرونولوجية الخاصة بالمواقع المدروسة إلى أن أقدم التشييدات الدفاعية المكتشفة في المشرق العربي القديم، تعود للعصر الحجري الحديث ماقبل الفخار A، وهي ممثلة من خلال موقعان في بلاد الشام هما: أريحا في فلسطين (NIGRO 2019. 79-108). وتل القرامل في سورية (كنجو، 2014، 2.–12). أما بالنسبة لبقية المواقع المدروسة فنلاحظ غياب التشييدات الدفاعية في كل من بلاد الشام والعراق خلال العصر الحجري الحديث ماقبل الفخار B القديم، وكذلك العصر الحجري الحديث ماقبل الفخار B الأوسط بينما تم توثيق تشييدات دفاعية في موقعين من مواقع العصر الحجري الحديث ماقبل الفخار B الحديث وهما: تل حالولة في سورية .MOLIST (2001,35-52)، وتل المغزلية في العراق (BADERN,et al,1994,7)، وفيما يخص العصر الحجري الحديث الفخاري، فقد تم توثيق تشييدات دفاعية في موقعين في العراق وهما: تل الصوان (BRENIQUET,1991,75-90)، وجوخامامي (OATES. 1969, 115-152)، وكلا الموقعين يعودان لثقافة سامراء، بينما لم يتم حتى الآن توثيق أي تشييدات دفاعية في مواقع العصر الحجري الحديث الفخاري في بلاد الشام.

ثانياً: وفيما يتعلق بوظيفة التشييدات الدفاعية وبطبيعة المخاطر التي دفعت سكان المستوطنات سابقة الذكر لتحصينها فهي تتفاوت من موقع لآخر، بالنسبة لموقع أريحا فإن البنية المعمارية للمدينة، ومساحتها الكبيرة (3 هكتار)، وتوزع مخازن الحبوب فيها، واكتشاف مواد متنوعة في أنقاضها، مستوردة من مناطق مختلفة، وكذلك سيطرت المدينة على مصادر البحر الميت من الملح والكبريت والقار(ميلارت ، 1990 ، 45)، كل ذلك يدفعنا للقول أنها كانت تتمتع بمكانة اقتصادية على الصعيد المحلي وعلى طرق التجارة القديمة، وهذا ما يستوجب تحصينها لحمايتها من هجمات محتملة من المناطق المجاورة للاستيلاء على ثرواتها، ولكن ذلك لا يتعلق بحماية المدينة بأكملها بل جزء مهم من الموقع فقط كان له أهمية استثنائية، أما بالنسبة للبرج فنرجح أن يكون له وظيفة مغايرة غير دفاعية. وبالنسبة للأبراج الدفاعية في تل قرامل، فقد تنوعت وظيفتها عبر الزمن ما بين دفاعية وطقسية(كنجو،10،2014)، ولكن الغاية منها عندما كانت وظيفتها دفاعية تتمثل بحماية جزء من الموقع أو الموقع ككل من هجمات خارجية محتملة. وبالنسبة لتل حالولة، فقد كان الهدف من تشييد السور هو حماية المنشآت المعمارية المتوضّعة داخل المنطقة المحصنة من خطر فيضان نهر

الفرات، إضافة إلى احتمال تعرض الموقع لهجمات خارجية. أما بالنسبة لتل المغزلية، فإن الهدف من تشييد السور الدفاعي كان حماية البيوت السكنية المتوضعة داخل المنطقة المحصنة من هجمات محتملة، أو على الأرجح حماية كميات الأوبسيديان المستوردة والمخزنة في الموقع قبل توزيعها، وخاصة أن الموقع كان يمثل محطة أساسية على الطريق التجارية التي سلكها الأوبسيديان من الأناضول إلى وسط وجنوب بلاد الرافدين ومناطق زاغروس(18, VINCENZO, 1994). وفيما يخص التشييدات الدفاعية في تل الصوان، فقد كان الهدف منها حماية المنشآت المعمارية المتوضّعة داخل المنطقة المحصنة، وهي عبارة عن مجموعة من المباني التي تأخذ شكل الحرف T، فسّرت بعضها على أنها معابد، بينما فسّر بعضها الآخر على أنها بيوت سكنية، وتلحق بها مشاغل ومخازن للغلال، وكان الخطر الذي استشعره سكان المستوطنة هو عبارة عن هجمات خارجية محتملة، ويدعم هذا الرأي اكتشاف العديد من مخازن الغلال في الموقع، وكذلك بقايا الغلال في باطن أغلب المخازن، والأختام الاسطوانية، كل ذلك يدفعنا إلى القول أنه كان للمستوطنة أهمية اقتصادية كبيرة استوجبت تحصينها. وأخيراً بالنسبة لموقع جوخامامي، فقد كان الهدف من تشييد البرج الدفاعي حماية مدخل المستوطنة من هجمات خارجية محتملة، وذلك نتيجة لعدم وجود أي مصدر لخطر طبيعي يهدد المنطقة المحصنة.

ثالثاً: وفيما يخص نمط التشييدات الدفاعية، فهي ممثلة بالأسوار والأبراج الدفاعية المترافقة في بعض الأحيان مع خنادق دفاعية. بالنسبة لأقدم التشييدات الدفاعية المكتشفة في المشرق العربي القديم العائدة للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار A في أريحا وتل قرامل، فقد تمثلت التشييدات الدفاعية في أريحا بخندق دفاعي محفور في الصخر، وسور من الحجارة بني ضمن الخندق، وبرج دائري ضخم من غير المؤكد أن يكون له وظيفة دفاعية(32 .,1978 ,. CAUVIN). أما في تل قرامل، فقد تمثلت تلك التشييدات بخمسة أبراج دفاعية متوضعة فوق بعضها البعض (Mazurowski ،et al,2012,48–295). أما بالنسبة للتشييدات الدفاعية العائدة للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B الحديث في تل حالولة وتل المغزلية، فقد تمثلت تلك التشييدات في تل حالولة ببقايا سور دفاعي مشيد بالآجر على قاعدة حجرية (موليست، وآخرون، 17،2010). وتمثلت في تل المغزلية ببقايا سور دفاعي مشيد بالحجر يضم بوابة بقسمه الغربي، ويرجح أن يكون السور مدعم بأبراج دفاعية (BADER. 1993,7-40). وأخيراً بالنسبة لنمط التشييدات الدفاعية العائدة

للعصر الحجري الحديث الفخاري في موقعي تل الصوان وجوخامامي فقد تمثلت تلك التشييدات في تل الصوان بسور دفاعي مشيد باللبن ومكسو بالجص ويتخلله بوابات ويتقدمه خندق، وتمثلت في موقع جوخامامي ببقايا برج دفاعي شيد بالطوب اللبن ينتصب أمام أحد مداخل المستوطنة.

رابعاً: وفيما يتعلق بمواد البناء المستخدمة، فهي تتنوع بحسب الموقع، وتتمثل بشكل أساسي بالحجارة والطين واللبن والآجر ونلحظ استخدام الجص كمادة للإكساء في حالة واحدة فقط وهي سور موقع جوخامامي. بالنسبة لموقع أريحا فقد شيد السور بالحجارة ويعلوه بناء مشيد باللبن يصل لارتفاع غير محدد، وشيد البرج أيضاً بالحجارة، بينما حفر الخندق في الصخر (ميلارت ،45،1990). أما بالنسبة لتل قرامل، فقد شيد البرجين الأول والثاني بالحجارة، وشيد البرج الثالث بألواح مسطحة من الحجر الجيري إضافة للحصى الصغيرة الممزوجة بالطين المحمر، وشيد البرج الرابع بالحجارة والطين وكميات كبيرة من الحصى ذات الحجم الصغير والمتوسط، وشيد البرج الخامس من كتل الحجر الجيري الكبيرة، ورصفت أرضيته بألواح مسطحة كبيرة من الحجر الجيري. وبالنسبة لبقايا السور الدفاعي في تل حالولة فهو مشيد بالآجر (اللبن المحروق) على قاعدة حجرية. وشيد السور الدفاعي في تل المغزلية من الحجارة. وشيد السور الدفاعي في تل الصوان باللبن المكسي بالجص. أما بالنسبة للسور الدفاعي في تل جوخامامي فهو مشيد بالطوب اللبن (OATES. 1969.4- 5).

خامساً: وفيما يخص تقنيات التشييد، فقد اعتمدت بشكل عام على تشييد الجدران بالشكل التقليدي الذي كان سائدان خلال تلك الفترة والتركيز على إكساب الأسوار متانتها من خلال السماكة والارتفاع مع تدعيم منظم بالأبراج في بعض من الأحيان، وإن كل ما نلمسه من تقدم تقني في التشييد الدفاعي خلال ذاك العصر يتمثل بما تم توثيقه في تل الصوان. اعتمد في تشييد سور أريحا على تقنية بسيطة تعتمد على تكديس ركام الأبنية الحجرية مع التركيز على السماكة والارتفاع لإكساب السور متانته حيث بلغ عرضه ثلاثة أمتار، ووصل ارتفاع الجزء المكتشف منه لنحو 3،94م، كما تم التركيز في بناء البرج على السماكة والارتفاع من خلال رصف الحجارة، وقد بلغ ارتفاعه بحسب الجزء المكتشف منه نحو 8،5م، وبلغ عرضه عند القاعدة 10م(ميلارت، 44،1990). وبالنسبة لتل قرامل، فقد تم

الاعتماد أيضاً على تقنيات بسيطة في تشييد الأبراج الخمسة، تتمثل بتشييدها بشكل منتظم بالحجارة والألواح المسطحة من الحجر الجيري. وبالنسبة لبقايا السور الدفاعي في تل حالولة، نلحظ وجود تقدم بسيط في تقنيات التشييد، حيث تم التركيز بداية على وضع أساسات حجرية، ثم تشييد جدار السور بالآجر فوق تلك الأساسات وهذا ما اكسبه المتانة والصلابة. وبالنسبة لبقايا السور الدفاعي في تل المغزلية فقد اعتمد في تشييده على تقنية تقليدية تتمثل بتشييده بالحجارة مع مراعاة إكساب السور متانته وصلابته من خلال زيادة عرض الجدار وزيادة ارتفاعه. وفيما يخص تقنيات تشييد السور الدفاعي في تلك الصوان، نلحظ وجود تقدم تقني تمثل بالكسوة الجصية للجدار الدفاعي، مع تدعيم بالعضائد وهذا ما اكسب السور متانة وصلابة، أيضاً هناك تقدم تقني آخر في تشييد البوابات، تمثل في تصميم مداخل منحنية لتلك البوابات ليسهل الدفاع عنها، ونضيف أيضاً تقدم تقني ثالث في تل الصوان وهو يتمثل بزيادة ارتفاع السور من خلال حفر خندق أمامه بعمق 3م، وبعرض نحو 2،5م من الأعلى، ونحو 50سم من الأسفل، وهذا ما أدى إلى زيادة ارتفاع السور الدفاعي وبالتالي زيادة فعاليته الدفاعية(YOUKANA.,1997, 5). وأخيراً بالنسبة للبرج الدفاعي في تل جوخامامي فلا يمكننا الحديث عنه أي تقدم تقني في التشييد، فقد شيد وفقاً لتقنية تشييد الجدران التي كانت سائدة خلال العصر الحجري الحديث الفخار من الطوب اللبن.

الخاتمة:

بناءً على ماسبق يمكننا القول أن أقدم التشييدات الدفاعية المكتشفة في المشرق العربي القديم، تعود للعصر الحجري الحديث ماقبل الفخار A، وهي ممثلة من خلال موقعان في بلاد الشام هما: أريحا في فلسطين، وتل القرامل في سورية،وفيما يتعلق بوظيفة التشييدات الدفاعية وبطبيعة المخاطر التي دفعت سكان المستوطنات سابقة الذكر لتحصينها فهي تتفاوت من موقع لآخر بين مخاطر بفعل البشر أو مخاطر بفعل الطبيعة، وفيما يخص نمط التشييدات الدفاعية، فهي ممثلة بالأسوار والأبراج الدفاعية المترافقة في بعض الأحيان مع خنادق دفاعية. وفيما يتعلق بمواد البناء المستخدمة، فهي تتنوع بحسب الموقع وتتمثل بشكل أساسي بالحجارة والطين واللبن والآجر، ونلحظ استخدام الجص كمادة للإكساء في حالة واحدة فقط وهي سور موقع تل الصوان. وفيما يخص تقنيات التشييد، فقد اعتمدت

بشكل عام على تشييد الجدران بالشكل التقليدي الذي كان سائداً خلال تلك الفترة، والتركيز على إكساب الأسوار متانتها من خلال السماكة والارتفاع مع تدعيم منظم بالأبراج في بعض من الأحيان.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل(501100020595).

المراجع:

1- كنجو، ي، يوليو 2014م، دراسة أنثربولوجية لقبور العصرالحجري الحديث في تل القرامل، أدوماتو

2- ميلارت،جيمس،1990.أقدم الحضارات في الشرق الأدنى،ترجمة محمد طلب، الطبعة الأولى، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع.

3- ميلارت، جيمس: أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة: محمد طلب، دار دمشق، 1990م.

4- موليست- ميغل، وآخرون 2010. تل حالولة، مساهمة في دراسة العصر الحجري الحديث (النيوليت) في وادي الفرات تنقيبات سنة 2008. الوقائع الأثرية في سورية، تقارير موسم التنقيب 2008، المديرية العامة للآثار والمتاحف، العدد 4.

5. -ABU AL-SOOF B. 1971. Tell es-Sawwan. Fifth Season's excavations (winter 1967-1968). Sumer 27.

6- BADERN. O., MERPERT N. J., MUNCHAEV R. M. 1994. Les importations d'obsidienne sur les sites des IXe-VIIe millénaires B.P. du Djebel Sinjar. Paléorient, vol. 20, n°2

20-BRENIQUET C. 1991. Tell es-Sawwan. Réalités et problèmes. Iraq LIII.

7--BRENIQUET C. 1992. Rapport sur deux campagnes de fouilles à Tell es-Sawwan, 1988-1989. Mesopotamia XXVII.

8- BADER N. O. 1993. Tell Maghzaliyah: an early Neolithic site in Northern Iraq. In N. Yoffee, J. J. Clark (eds.), Early stages in the evolution of Mesopotamian civilization. Soviet excavations in Northern Iraq. The University of Arizona Press. Arizona.

9-CAUVIN J., 1978. Les premiers villages de Syrie-Palestine du IX^{e} au VII^{e} millénaire avant Jésus-Christ, Lyon : Maison de l'Orient (Collection de la Maison de l'Orient n^{o} 4, Série archéologique 3)

10- DOUMAS C. 2000. Le monde égéen au néolithique, In: CORIENNE JULIEN avec la collaboration de Khadija Touré 2000. History of Humanity – Vol I: Prehistory and the Beginning of Civilization, l'Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO), Paris et Routledge, Londres..

11- ESQUIVEL J. A., NAVAS E. 2007.Geometric architectural pattern and constructive energy analysis at Los Millares Copper Age Settlement (Santa Fe de Mondújar, Almería, Andalusia), Journal of Archaeological Science, 34.

12-GARSTANG J. 1940. The Story of Jericho. Nature 146.

13-HERZFELD E. 1930. Die Ausgrabungen von Samarra 5. Die vorgeschichtlichenTöpfereien von Samarra. Berlin: Reimer

14-KENYON K. 1959. Earliest Jericho. Antiquity, volume 33.

15- LIU L. and CHEN X. 2012. The Archaeology of China: From the Late Paleolithic to the Early Bronze Age.Cambridge et New York, Cambridge University Press.

16-MazurowskiR.F2012Archaeology of Tell Qaramel. InMazurowskiR.F.&Kangou Y. (eds)2012.Tell Qaramel 1999-2007.pcma No.2.university of Warsaw.poland.

17-MARGUERRON J. C. 2011. Aux origines de l'architecture militaire en Mésopotamie, in CHARPENTIER A. et TERRASSE M., Stratégies de défense, de conquête ou de victoire en Méditerranée: des textes aux architectures et à l'aménagement, Tlemcen: Université Abou Bekr Belkaid.

18- OLIVIER A. 2012. La tour de Jéricho, encore et toujours. In: Vous avez dit ethnoarchéologue? Choix d'articles (1972-2007) Lyon: Maison de l'Orient et de la Méditerranée Jean Pouilloux.Collection de la Maison de l'Orient méditerranéen. Série archéologique, 47.

19-NIGRO L. 2019. Tell es-Sultan/ancien Jericho in the Early Bronze Age II-III, ROSAPAT,volume 13.

20- MARGUERRON J. C. 2011. Aux origines de l'architecture militaire en Mésopotamie, in CHARPENTIER A. et TERRASSE M., Stratégies de défense, de conquête ou de victoire en Méditerranée: des textes aux architectures et à l'aménagement, Tlemcen: Université Abou Bekr Belkaid.

21- MOLIST M. 2001. Halula, village néolithique en Syrie du Nord. In: GLJILAINF J. (éd.). Communautés villageoises du Proche Orient à l'Atlantique (8 000-2 000 avant notre ère). Paris: Éditions Errance.

22-OATES J. 1969. ChogaMami, 1967-68: A Preliminary Report. Iraq, vol. 31, no. 2.

23-OATES D. 1969. "Excavations At ChogaMami, Iraq". British Institute for the Study of Iraq.

24- TAHA B., MOLIST M., SIDERA I. 2017. Tell Halula, Syria: Pre-Pottery Neolithic, Pre-Halaf and Halaf bone objects. From technology to typology. Paléorient, vol. 43, n°2.
RechechesarchéologiquesrécentesenpréhistoireetprotohistoireenSyrie/ Recent archaeological research in Syria (13th mill. BC – 2nd mill. BC.

25 YOUKANA D.G. 1997. Tell es-Sawwan. The Architecture of the Sixth Millennium B.C. London: Nabu Publications, EDUBBA 5.

26-YOUKANA D.G. 1997. Tell es-Sawwan. The Architecture of the Sixth Millennium B.C. London: Nabu Publications, EDUBBA 5.